

فتح في سنواتها الأولى مرحلة التأسيس: الانطلاقة - أبو جهاد في الجزائر

يحيى يخلف*

- ٢ -

بعد إنجاز وثيقة (بيان حركتنا) بدأت عملية الاستقطاب للتنظيم.. كان أبوإياد(صلاح خلف)، وأبو الأديب(سليم الزعنون) من أوائل الذين تم استقطابهم للانضمام للحركة، ويقول في ذلك أبو الأديب أن خليل الوزير(أبو جهاد) فاتحه بالفكرة للثقة القائمة بينهما والصداقة المتينة التي تربطهما، وشرح له هدف التنظيم(فتح) باطلاق ثورة تمارس الكفاح المسلح وتقتضي السرية أن تكون علاقته مع شخص آخر سيتصل به، وبالفعل اتصل به شخص قدم نفسه باسم فتحي القاضي(تبين في ما بعد أنه عبد الله الدنان)، وفي الوقت نفسه اتصل شخص آخر بصلاح خلف قدم نفسه باسم نبيل حمدان للغرض نفسه، و(تبين في ما بعد أنه عادل عبد الكريم)، وعلى الرغم من الصلة الوثيقة التي تربطهما بياسر عرفات، فإنهما وافقا على الانضمام للحركة دون ان يعرفا حتى تلك اللحظة أن عرفات عضو مؤسس في قيادتها.

كانت السرية من أبرز الشروط التي يقتضيها العمل، لكن قرار الاستقطاب للانضمام للقيادة خضع لمعايير الخبرة والقدرة والكفاءة لشخصيات ذات تاريخ نضالي، والتركيز على النوع وليس الكم.

بعد صلاح خلف وسليم الزعنون، انضم فاروق القدومي(أبو اللطف)، ثم خالد الحسن، واستقطبت الحركة قادة آخرين لاتهم ظروف وظائهم من الانضمام الى خلية تنظيمية فتصبح علاقتهم

* كاتب وروائي من فلسطين

مع الحركة من خلال تواصلهم مع أحد الإخوة في القيادة ، ويطلق على الواحد منهم لقب (ناظم)، ومن هؤلاء (هاني القدومي) الذي كان يعمل سكرتيراً لأمير الكويت عبد الله السالم الصباح، والذي كان يستطيع بحكم موقعه دعم ومساعدة التنظيم.

وأبرز من دخل اللجنة المركزية في تلك الفترة محمود عباس (أبومازن)، وأبو يوسف النجار وكان معهما في لجنة إقليم قطر كوادراً قيادية منهم رفيق النتشة، وسليمان الشرفا.

ومن الأسماء التي تم استقطابها في مرحلة البدايات محمد الإفرنجي، سعيد المزين (أبو هشام)، محمود الخالدي، حسام الخطيب، علي الحسن، الدكتور محمود أبو الفخر، كمال السراج (أبو نبيل)، زهير العلمي، أبو ماهر غنيم، الشيخ محمد أبو سردانه، سعيد المسحال، كمال العدوان، عبدالفتاح حمود، خالد الشريطي، صخر حبش، سميح أبو كويك، زكريا عبد الرحيم، أبو العبد العكلوك.

ومن السعودية جاءت أيضاً كوادراً قيادية منهم ماجد أبو شرار، أحمد قريع (أبو العلاء) وعبد العزيز السيد، وسليمان أبو كرش، وأبو الرائد الأعرج، والحاج مطلق وعدد آخر من الكفاءات. ومن الجزائر ظهرت قامات قيادية لعبت دوراً أكبر في تاريخ الحركة وفي مقدمتهم: أبو علي إياد، وممدوح صيدم (أبو صبري)، ومحمد أبو ميزر (أبو حاتم).

ومن الكفاءات العربية تم استقطاب توفيق حوري، وهاني فاخوري اللذين كلفا بمهمة الاشراف على إصدار مجلة (فلسطيننا) التي بشرت وعممت فكرة التحرير والعودة، بل إن هاني الفاخوري صار في وقت لاحق عضواً في لجنة إقليم لبنان .

عام ١٩٦٢م انجاز وثيقة (هيكل البناء الثوري) التي وضع خطوطها العريضة اللجنة المركزية، وساهم في صياغتها عدد من القادة والكوادر القيادية من بينهم عبد الله الدنان ومنير سويد، وبذلك صار للحركة وثيقتان تمثلان فكرها الوطني ومبادئها ومنطلقاتها، وهيكلها التنظيمي.

كان معظم قيادات الحركة يعيش في دول الخليج، ولم يكن مبدءاً التفرغ للعمل الثوري والميداني مطروحا، وكان ياسر عرفات وخليل الوزير من أوائل القادة الذين ضحوا بالوظيفة، وتفرغوا للعمل، وبعد الانطلاقة صار التفرغ حسب الضرورة، وبالتدرج.

كانت شخصية ياسر عرفات شخصية طليعية، تنزع نحو التميّز والسيطرة والسعي للقيادة، ومن شروط ذلك كان النزول للميدان، والانتقال من الخليج الى دول الطوق المحاذية للأرض المحتلة، لذا ذهب ياسر عرفات الى الميدان، الى سورية ولبنان والأردن وقطاع غزة، لتشكيل الخلايا وجمع

السلاح، وإيجاد القواعد الارتكازية، والتواصل مع خلايا كان قد استقطبها هو وأبوجهاد في غزة والضفة ولبنان. كان ياسر عرفات يعمل مهندسا في وزارة الأشغال الكويتية، ثم أسس شركة هندسية. ترك الوظيفة في وقت ما من عام ١٩٦٤ لصالح طموحه الوطني، وطموحه الشخصي في تقدم الصفوف، وأمضى سنة ١٩٦٤ يتحرك بنشاط في دول الطوق ليكون السبّاق في اطلاق مشروع الكفاح المسلح . اتسم تحركه بالسريّة التي اتخذتها الحركة منهجا وأسلوبا ومن ذلك دخوله الى الضفة الغربية عن طريق مطار قلنديا متنكرا بلباس وجواز سفر باكستانيين كما أخبرنا السيد سليم الزعنون عندما كان الخلاف محتدما بين أعضاء اللجنة المركزية على موعد الانطلاقة، جاء لتشكيل رأي عام في أوساط تنظيم فتح مؤيدا لرأيه، وتواصل مع أعضاء وقيادات التنظيم، ومنهم أبو ماهر غنيم، والشيخ أبو سردانة في عمّان، وفي الضفة تواصل مع قيادات وأعضاء في الحركة منهم (بدوي جنيد) أبرز رموز الحركة آنذاك في مدينة الخليل، ومع حمد العائدي في أريحا، ومع شخصيات أخرى في رام الله وجنين وطولكرم وقلقيلية.

وفي لبنان تواصل مع توفيق حوري، وهاني فاخوري، وزهير العلمي، وأشرف على تأسيس معسكر سريّ للتدريب في الجبل (بحمدون)، وكان على اتصال مع كوادر الحركة في عين الحلوة ومن ابرزهم أحمد الأطرش.

لكنه كرس معظم الجهد للساحة السورية.. كان يدرك أن الساحة السورية هي الساحة المؤهلة لتكون مركز قيادة، ومركز تدريب وتسليح وانطلاق، وكان هناك علاقات بين بعض أعضاء اللجنة المركزية (صلاح خلف، فاروق قدومي، عادل عبد الكريم، عبد الله الدنان) مع قيادات سورية من حزب البعث، كما كانت هناك قيادات فتحاوية للساحة السورية (محمود الخالدي، حسام الخطيب، حسن عباس، سليم زيد) ولها تواصل مع ابناء فلسطين في المخيمات ومع شخصيات سورية مرموقة مناصرة للقضية الفلسطينية .

لكن الطريق في سورية لم تكن ممهدة، فقد كان التنظيم الفلسطيني في حزب البعث يسعى الى اختراق تنظيم فتح، والسيطرة على العمل العسكري، وكان على ياسر عرفات أن يدفع الثمن غالبا هو وأبو جهاد وعدد من الكوادر دفاعا عن القرار الوطني المستقل، وهو القرار الذي لم يتنازل عنه حتى آخر رمق، وسنفصل ذلك في مكان آخر، وفي سياق روايتنا لتاريخ فتح في سنواتها الأولى.

شهدت سنوات النصف الأول من عقد الستينات أحداثاً وتطورات ذات تأثير في دول الطوق التي يتحرك بها ياسر عرفات ورفاقه، منها حدوث انقلاب عسكري في سورية (٢٨ سبتمبر/ ايلول ١٩٦١) أطاح بالوحدة التي كانت قائمة بين مصر وسورية، والتي أعلنت في ٢٢ فبراير/ شباط ١٩٥٨ تحت

اسم الجمهورية العربية المتحدة.

ومنها الانقلاب المضاد الذي جرى في سورية بقيادة حزب البعث (الجناح العسكري) في الثامن من مارس آذار ١٩٦٣ والذي وضع حدا لحكومة الانفصال التي كان يرأسها خالد العظم.

ولعل الحدث الأبرز والذي كان له علاقة بالقضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي هو شروع اسرائيل في تحويل مياه نهر الأردن في مطلع الستينات من القرن العشرين، والتداعيات السياسية والعسكرية العربية التي رافقت ذلك، وتأثير ذلك على القضية الفلسطينية، وخصوصا على تبني القمة العربية التي عقدت في القاهرة (١٣ يناير ١٩٦٤) بمبادرة من الرئيس عبد الناصر فكرة تأسيس كيان فلسطيني، بهدف تمكين الشعب الفلسطيني من المشاركة قي تحرير وطنه وتقرير مصيره، وتكليف القمّة للسيد أحمد الشقيري بهذه المهمة.

وكان من اهم قرارات المؤتمر أيضا: إنشاء قيادة عربية موحدة لجيوش الدول العربية تتشكل في كنف الجامعة العربية ردا على ما قامت به اسرائيل من تحويل لمياه نهر الأردن.

لا شك أن هذه الاحداث، وخصوصا حالة التوتر على جبهة الأردن، وتحرك السيد أحمد الشقيري في دول الطوق وأماكن تجمّعات الفلسطينيين في دول الشتات، والتحضير لانعقاد المجلس الوطني في القدس، وتوفر مناخ ملائم في سورية بعد وصول حزب البعث الى الحكم ، كل ذلك وضع ياسر عرفات في أجواء التحدي، وجعله في عجلة من أمره إذ كان هو وجزء كبير من قادة فتح يعملون من أجل حركة وطنية شعبية لا تكون تحت وصاية عربية، لكنها على الرغم من ذلك لم تعارض جهود السيد أحمد الشقيري، ولم تشكّل عقبة في طريقه.

كان ياسر عرفات في عجلة من أمره، يتبنى سرعة الاعداد لانطلاقة الثورة، ويجري الاستعدادات والتحضيرات لعملية عسكرية مدوية تعلن عن بدء الكفاح المسلح قبل تأسيس الكيان الفلسطيني المزمع تأسيسه، وكان يعارضه عدد من أعضاء اللجنة المركزية تحت ذريعة عدم توفر الإمكانيات والاستعدادات.

وفي شهر أيار/ مايو من عام ١٩٦٤ اجتمعت اللجنة المركزية في الكويت للبحث في موعد الانطلاقة، فتباينت وجهات النظر بين مؤيد للاسراع بالانطلاقة وبين من يدعو للتريث وانتظار توفر الامكانيات المادية والعسكرية.

انقسمت اللجنة المركزية الى معسكرين، أطلق عليهما في ذلك الوقت وعلى سبيل الدعاية: معسكر العقلاء الداعي الى التريث، ومعسكر المجانين الداعي الى سرعة البدء بالانطلاقة.

في ذلك العام سافر ياسر عرفات الى الجزائر مرات عديدة للقاء أبو جهاد الذي كان يقوم بمهمة مدير مكتب فلسطين هناك في ذلك الوقت للتباحث معه في موضوع الانطلاقة، وكان أبو جهاد قد عزز من مكانة فتح في الجزائر، وربط علاقات مميزة مع الرئيس بن بيلا ومع القيادات الجزائرية ومع حركات التحرر التي كان لها مكاتب في العاصمة الجزائرية، وكذلك مع الصين وفيتنام وكوريا من خلال سفاراتها، وقد شارك ياسر عرفات في وفد ترأسه أبو جهاد زار الصين زيارة رسمية، فاستقبل الوفد استقبالا رسميا، وأقيمت على شرفه مهرجانات تضامن لصالح القضية الفلسطينية، فكان ياسر عرفات وأبو جهاد أول قائدين من حركة فتح، بل أول شخصيتين فلسطينيتين تزوران الصين الشعبية.

عام ١٩٦٤ برزت المعطيات الجديدة التي وضعت القضية الفلسطينية في صدارة المشهد العربي، إذ انعقد كما أسلفنا في القاهرة مؤتمر القمة لقادة ورؤساء وامراء وملوك البلدان العربية الأعضاء في الجامعة العربية بمبادرة من الرئيس المصري جمال عبد الناصر وذلك في كانون الثاني/ يناير من عام ١٩٦٤، وقرر المؤتمر ضرورة إنشاء كيان فلسطيني، وكلف السيد أحمد الشقيري كما ذكرنا بعقد اجتماعات في البلدان العربية التي تتواجد بها تجمعات فلسطينية والتحضير لعقد مؤتمر وطني ينبثق عنه هذا الكيان.

قام السيد أحمد الشقيري بموجب هذا التكليف بجولات في الدول العربية، وفي احدى زيارته للجزائر التقى بوفد من حركة فتح يضم ياسر عرفات وأبو جهاد وزهير العلمي، وقد حاولوا إقناعه بالتعاون مع الحركة فوعدهم بذلك لكنه لم يفعل.

كانت فكرة قيام هذا الكيان الذي أصبح في ما بعد منظمة التحرير يمثل التزاما رسميا عربيا، فلم تعارضه فتح ولم تتردد في متابعة الاتصالات مع السيد الشقيري، بل دفعت بعض قياداتها للمشاركة في المؤتمر الوطني المزمع عقده، وهذا ما سنفصله عندما نتعرض لتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية.

وعودة الى موضوع الانطلاقة، فقد قررت اللجنة مواصلة النقاش، ونقل اجتماعاتها الى دمشق. واخيرا تمت الموافقة على موعد لاعلانها في النصف الثاني من شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٦٤، لكنها لم تنجح، وفشلت بسبب عدم تمكن المجموعة المكلفة من الوصول الى الهدف.

وعلى إثر ذلك تمّ تشكيل قيادة للانطلاقة برئاسة أبو يوسف النجار يكون فيها ياسر عرفات مساعدا أول له، ويكون فيها محمود مسودة (أبو عبيدة) مساعدا ثانيا، لكن ياسر عرفات لم يعترف بها،

فقررت اللجنة المركزية إرسال السيد سليم الزعنون الى الأردن والصفة الغربية ليتأكد من الجاهزية تمهيدا لاقرار موعد جديد للإنطلاقة.

ويقول السيد سليم الزعنون في شهادة موثقة أجريتها معه، إنه ذهب الى عمان، وقابل الشخصيات التي طلبوا منه لقاءها، ثم انتقل للصفة الغربية وقابل شخصيات أخرى في القدس ونابلس ومدن أخرى مستمزجا رأيهم في امكانية البدء بالانطلاقة، وما اذا كانت الاستعدادات متوفرة أم لا، فكان هناك تفاوت في الرأي بين مؤيد ومتردد، لكن الغالبية كانت مع البدء بالانطلاقة، فجاء تقريره ايجابيا، وكان ذلك بمثابة دعم لما سمي بمعسكر المجانين.

كان رأي ياسر عرفات كما قال لي السيد سليم زعنون: ان من يريد التضحية بنفسه لا يحتاج الى استئذان، وأن الكفاح المسلح لا يحسم بالأكثرية أو الأقلية، وأنه متأكد من أن الوقت مناسب للانطلاقة، واذا كان المال قليلا فبعد الانطلاقة سيأتي المال.

لكن الأخوة المناصرين له أقتعوه بالانصياع لقرار اللجنة المركزية.

وحول اتخاذ قرار الانطلاقة يقول السيد محمود عباس في تسجيل موثق مع سيادته: (غاب البعض عن الاجتماع وكان أبو جهاد في الجزائر، فحضرنا الاجتماع تسعة أعضاء هم: محمود الخالدي، حسام الخطيب، محمود عباس، أبو يوسف النجار، عادل عبد الكريم، ياسر عرفات، محمود أبو فخر، عبدالله الدنان، محمد الافرنجي، فصوت أربعة مع وأربعة ضد، وكان صوتي مرجحا، وهكذا نجح القرار بالنصف زائد واحد.

تم الاتفاق على تحديد تاريخ ١٩٦٥/١/١ موعدا للانطلاقة، ومن حسن الحظ أن الانطلاقة نجحت، ونفذت عملية البطوف (نفق عيلبون) التي استشهد فيها المناضل أحمد موسى، وكان للعملية صدى واسع، وانتشرت أخبارها في وسائل الإعلام، وانطلقت فتح الى العلن).

اخترت فتح اسم العاصفة لجناحها العسكري ، وصدر بيان الانطلاقة باسم: القيادة العامة لقوات العاصفة، وعرف العالم في ما بعد أن العاصفة هي الجناح العسكري لفتح.

أصبح لفتح معسكرات تدريب في سورية داخل المخيمات وخارجها، لكن المعسكر الأهم والمعتمد كان معسكر (الهامة) الذي يجاور بلدة الهامة الذي كان مظهرها من مظاهر هوية فتح النضالية، إذ تدرب فيه مئات الرجال الذين التحقوا بجناحها العسكري، والذين أصبحوا قادة وأسهموا في مختلف المواقع والمعارك في صنع أمجاد العسكرية الفلسطينية.

أبو جهاد في الجزائر يربط الصلات مع القوى الثورية وحركات التحرر في العالم كان قادة الحركة كما أسلفنا مفتونين بتجربة الثورة الجزائرية حتى إنهم استلهموا من ملاحظتها الكفاحية الفكرة، ومن جمرها أخذوا قبسا.

بدأت العلاقة مع الثورة الجزائرية من خلال السيد جمال عرفات (أبو رؤوف) الأخ الأكبر لياسر عرفات الذي ربطته علاقات مبكرة مع قيادات من الثورة الجزائرية أثناء وجودهم أو مرورهم على القاهرة، فكان صديقا لـ حسين آيت أحمد، ومحمد خيضر وآخرين، وعندما أعتقلت فرنسا القادة الخمسة للثورة وعلى رأسهم أحمد بن بيلا، ظل جمال عرفات على صلة مع عائلاتهم، وكان يعمل في حشد ودعم التأييد والمساعدات للثورة الجزائرية من خلال نشاطه في مكتب دعم كفاح دول المغرب العربي في مصر.

عندما انتصرت الثورة الجزائرية وتحررت الجزائر، تلقى دعوة لحضور احتفالات الاستقلال تقديرا لدوره التضامني، وبعد انتهاء الاحتفالات أجرى لقاءات أسفرت عن موافقة الجزائر على فتح مكتب لفلسطين في الجزائر العاصمة.

وفي رواية لـ (أبو جهاد) أن ياسر عرفات كان قد زار الجزائر أيضا وأجرى لقاءات مع المسؤولين الجزائريين طلب فيها افتتاح مكتب لحركة فتح وأنهم وعدوه بذلك.

مهما يكن من أمر فقد استلم السيد جمال عرفات المكتب، ثم طلب من لجنة فتح المركزية إرسال من يشغل مهمة مدير المكتب.

كان ذلك في العام ١٩٦٣، فاجتمعت اللجنة المركزية في شهر مارس من ذلك العام لبحث الموضوع في بيت السيد عادل عبد الكريم.

يقول السيد سليم الزعنون (أبو الأديب): كنت حاضرا ذلك الاجتماع، وشعرت أن الأخوة وقعوا في حيرة في من سيتم اختياره. كان معظم الموجودين يشغلون وظائف كبرى في دولة الكويت، وبالتالي ترك الوظيفة والتفرغ ليس سهلا. التحق أبو جهاد بالاجتماع متأخرا، وفور وصوله قال: لا لزوم لنقاش هذا الموضوع على جدول الأعمال، لقد قدمت استقالتني من الوظيفة، وأنا سأذهب مديرا لمكتب فتح في الجزائر. طبعا قرار أبو جهاد أخرج الجميع من مأزق السؤال: من سيذهب الى الجزائر؟

انتهى كلام السيد سليم الزعنون، وسنكمل الرواية من خلال شهادة السيدة انتصار الوزير (ام

جهاد) عن موضوع فتح للحركة أوسع الأبواب لتلقي الدعم السياسي والعسكري، وتعزيز مكانتها وموقعها كحركة تحرر وطني، وتوسع انتشارها، وفتح أبواب العمل للخريجين الفلسطينيين في مجالات التعليم والطب والهندسة والمهن الأخرى.

تقول السيدة ام جهاد: رجع أبو جهاد من الاجتماع عند الفجر، وقال لي علينا أن ننام قليلا ونستيقظ باكرا، كان اليوم هو يوم الجمعة وهو يوم عطلة، قال: امامنا سفر، أنا الى الجزائر وأنت الى غزة، ولا اريد منك أن تبغني أحدا عن ذهابي الى الجزائر بما في ذلك والدي ووالديتي.

واصطدنا في المطار بقضية التصريح، إذ أن على أبو جهاد أن يحصل على إذن مغادرة من دائرة التعليم التي يعمل فيها، وتدخل حينها ياسر عرفات، وتمكن من خلال علاقاته مع اصدقائه الكويتيين بفتح دائرة التربية في يوم الجمعة واستصدار إذن المغادرة.

في اليوم التالي سافرنا معا الى بيروت، ومن هناك سافر هو الى الجزائر، وسافرت أنا الى غزة بانتظار تدبر أموره، ومن ثم الالتحاق به.

وصل أبو جهاد الى الجزائر واتصل بالجهات المعنية بحركات التحرر، فأنزله في فندق (الأيثيه) وسط المدينة، وكان عليه أن يذهب يوميا الى مقر الرئاسة لمحاولة الالتقاء بالرئيس أحمد بن بيلا، لكن محاولاته لم تفلح.

كان الرئيس بن بيلا يخضع لضغوط مصرية، وكانت الاجهزة الأمنية المصرية آنذاك تصنف حركة فتح كحركة إخوانية نظرا لأن بعض قادتها كانوا ينتمون الى تنظيم الإخوان المسلمين قبل أن ينسحبوا ويرفعوا شعار: الوحدة الوطنية بديلا عن الحزبية.

ويعزو كثير من القيادات الفتحوية التي التقيتها وسألتها عن هذا الموضوع، أن تأخر الجهات الجزائرية في تسليم المكتب لـ (أبوجهاد)، وعدم استقبال الرئيس بن بيلا له الى ضغوط مارسها السفارة المصرية في تلك المرحلة التي اتسمت بالسرية، والتي لم تستطع المخابرات العربية خلالها أن تكشف هوية حركة فتح ومعرفة أية معلومات عنها، وظلت بمثابة لغز في ملفاتها.

مرت عدة أشهر دون أن يتسلم أبو جهاد المكتب، ودون أن يلتقي بالرئيس بن بيلا، بل إن الجهات الأمنية طلبت منه التهيؤ للمغادرة إذ أنّ جهات أمنية عربية كانت تضغط على الرئيس بن بيلا وتزوده بمعلومات كيدية عن حركة فتح.

وحدثت في تلك اللحظات معجزة، فقد استدعت الحكومة الجزائرية السفير الجزائري في الكويت

السيد (عثمان سعدي) للمجيء الى بلده، إذ كانت الجزائر في تلك الأيام تعاني من أزمة مالية، وأرادت أن تتباحث معه وتحمله رسالة للحكومة الكويتية تتعلق بهذا الشأن.

كان السيد عثمان سعدي صديقا لقيادات فتح في الكويت، وتربطه مع أبو جهاد صلات جيدة، وكان على اطلاع وعلم بما تفكر به فتح، وبفكرة اطلاق ثورة مسلحة، كما كان على علم بسفر أبو جهاد الى الجزائر.

اتصل السيد عثمان سعدي بياسر عرفات وأبلغه عن نيته السفر الى الجزائر، وسأله إن كان يرغب في ارسال رسالة الى أبو جهاد، فحمله عرفات رسالة ومبلغ مائتي دولار.

وفي لقاء موثق ومسجل صوتا وصورة مع الجزائري السيد عثمان سعدي أجرته بحضور القائد صخر حبش في تونس عام ١٩٨٨ روى لي كيف لعب دورا في تمكين أبو جهاد من الالتقاء بالرئيس بن بيلا.

وقال في شهادته انه عندما وصل الجزائر ذهب الى فندق السفير المشهور باسمه القديم (أليته) وقابل أبو جهاد فوجده مكتئبا، تسلم أبو جهاد منه الرسالة وأعاد له مبلغ المائتي دولار وقال: لاجحة لي بها اعدّها للأخوة لأن السلطات طلبت مني المغادرة، وانا أهية نفسي للسفر.

يضيف السيد عثمان سعدي: أقنعت أبو جهاد بتأجيل سفره، وأبلغته أن لدي موعدا مع الرئيس بن بيلا وسأحدثه عن حركتكم التي تستلهم تجربة الثورة الجزائرية، سأبذل جهدي من أجل ترتيب موعد لك، أعطني هذه الفرصة.

وبالفعل نجحت وساطة السيد عثمان سعدي، ألغي قرار مغادرة أبو جهاد، والتقى بالرئيس بن بيلا، وكان اللقاء تاريخياً (*)

وفي الثالث والعشرين من شهر سبتمبر أيلول ١٩٦٣ صدر قرار من رئاسة الجمهورية الجزائرية بممارسة مكتب فلسطين الكائن في (نهج فيكتور هوغو ص.ب ٦١١ هاتف ٩٥٨١١٧ - الجزائر العاصمة) بممارسة أعماله وقد حدد أبو جهاد أهداف المكتب ب:

- تجنيد الطاقات الفلسطينية البشرية والمادية والمعنوية وتهيئتها وربطها بكادر منظم.

(*) عندما التقيت الرئيس بن بيلا في التسعينات في العاصمة الجزائرية بعد عودته من المنفى وكان بصحبي الأخ عمر القادري القيادي في حركة فتح ومسؤول ملف الثقافة والاعلام في اقليم الجزائر، قال لي الرئيس بن بيلا: لقد سحرتني ابو جهاد بدمائه وخلقه وحيويته وروحه الثورية الوثابة وحديثه عن القضية الفلسطينية فسلمناه مكتب فلسطين وأعطينا توجيهات لتقديم الدعم له في كل المجالات التي يطلبها، كما منحته جواز سفر دبلوماسيا، وكان أول شخص غير جزائري يمنح هذا الجواز.

- تعبئة القوى والامكانيات والجهود تعبئة ثورية شاملة.
- أن يكون مكتب الجزائر قاعدة ثورية حرّة.
- أن يقوم المكتب بجهود لاستقطاب الجهود العربية والصديقة لتسند كفاح الشعب الفلسطيني في معركة المصير.

كانت مرحلة الجزائر من أهم المراحل التي عبرتها حركة فتح في تلك الأيام، وكانت الخطوة الأهم المرافقة لخطوات التأسيس وانضمام روافد عديدة من تجمعات ونويات تواجدت في مواقع مختلفة، من السعودية وقطر والأردن وسورية وليبيا ومواقع أخرى لتصب في نهر فتح العظيم . كان افتتاح مكتب للحركة في الجزائر خطوة في غاية الأهمية رسخت مكانتها انطلاقا من أهم مركز يحتضن حركات التحرر الوطني في العالم مكّنها من ربط الصلات مع العالم الخارجي، ونسجت شخصية أبوجهاد الحيوية وثقافته ودمائته وخلقه العظيم أعمق العلاقات مع جبهة التحرير الوطني والدولة الجزائرية ورجالها وشخصياتها، ومع حركات التحرر في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية من خلال مكاتبها في العاصمة الجزائرية، ومع الصين وفيتنام وكوريا من خلال سفاراتها، وبذلك فإن أبوجهاد هو المؤسس الأول لعلاقات فتح الخارجية.

وفي شهادة تاريخية كتبها أبوجهاد ونشرتها هيئة التعبئة الفكرية في حركة فتح عام ١٩٨٦ في كتيب وزع على نطاق محدود تحدث فيه عن مرحلة التأسيس، والنشوء والارتقاء وقيادة منظمة التحرير، قال أبو جهاد (حين بدأنا في العمل هناك لم يكن في الجزائر غير أربعة عشر فلسطينيا، لذا فإن المهمة الأولى التي وضعها المكتب على عاتقه هي توسيع التجمع الفلسطيني هناك، فقمنا أولا بفتح الأبواب أمام مئات من الطلبة للإلتحاق بالجامعات الجزائرية، ثم فتح الأبواب أمام مئات من المعلمين الفلسطينيين ليقوموا بالتدريس في الجزائر، فضلا عن أعمال أخرى عديدة كانت الجزائر بحاجة ماسة لها بعد الاستقلال، وجميع هؤلاء الإخوة كانوا على ارتباط وثيق بالمكتب الذي كان يقدم لهم التسهيلات، كما يقيم اللقاءات والندوات، ثم النشاطات التنظيمية، ومثل ذلك روحا جديدة للشباب الذين أصبحوا في ما بعد جزءا رئيسا من المقاتلين الذين شاركوا في الكفاح المسلح مشاركة عظيمة، ومن بين هؤلاء: أبو علي إياد، وممدوح صيدم (أبوصبري)، ومنهل شديد، ووديع عبد اللطيف.

وحول العمل السياسي قال أبوجهاد إن تواجد الحركة في الجزائر كان فرصة ثمينة مكّنت من وصول الصوت الفلسطيني الى المستويين العربي والدولي، ويذكر على سبيل المثال نجاح المكتب في الحصول

على دعوة وفد من فتح الى جمهورية الصين الشعبية، وتشكّل الوفد منه ومن ياسر عرفات، وذهب الى بكين في منتصف آذار/ مارس ١٩٦٤ حيث استقبل الوفد استقبالا حافلا من قبل لجنة التضامن الآسيوي الأفريقي، وأجرى الوفد لقاءات مع أعضاء لجنة مركزية في الحزب الشيوعي الصيني ووزراء في الحكومة الصينية، كما أقامت لجنة التضامن مهرجانا تضامنيا مع الشعب الفلسطيني، وصفه أبو جهاد بأنه أول مهرجان فلسطيني في العالم يمثل هذه الصفة الرسمية حيث تليت فيه برقيات تضامنية أرسلت من رئيس وزراء الصين: شو إن لاي، والزعيم ليو شاو شي.. وبعد هذه الزيارة مباشرة سمحت الصين بفتح مكتب فلسطين هناك، وكانت هذه الزيارة أول زيارة لممثلين للقضية الفلسطينية تستقبلهم الصين.

استغرقت الزيارة أربعة أيام، غادر بعدها ياسر عرفات، بينما توجه أبو جهاد الى كوريا الشمالية. فتحت هذه الزيارة الأبواب لزيارات وعلاقات أخرى مع فيتنام الشمالية والباينا وألمانيا الديمقراطية ومع الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية.

أنفق أبو جهاد ما ادخره من مستحققاته كمدرس في الكويت، وما وصله من بيع أثاث بيته، أنفقها على المكتب وعلى مساعدة الوافدين المحتاجين، كما عمل على تأسيس لجنة إقليم لتنظيم فتح في الجزائر، وأسس معسكرات للتدريب في بعض الولايات التي تتواجد بها كثافة فلسطينية بدعم من السلطات الجزائرية، وفي وقت لاحق فتح الجزائريون الباب لضباط من حركة فتح للالتحاق بالكليات العسكرية، وخصوصا كلية (شرشال).

وقد استقطبت تجربة أبو جهاد كما أسلفنا قيادات سياسية وعسكرية كانت بمثابة ضخ دماء جديدة في عروقها، ومن أبرز هذه القيادات: ممدوح صيدم، أبو علي إباد، أحمد وافي، محمد أبو ميزر، عبد الكريم العكوك، وجيه قاسم.

ولا ننسى بالطبع ان نذكر السيدة انتصار الوزير (إم جهاد) رفيقة مشوار أبو جهاد، التي لم تكن زوجة فقط وانما مناضلة طليعية، بل كانت من أوائل النساء اللواتي التحقن بالحركة، ومكنتها المسيرة الكفاحية بلعب أدوار تاريخية عند منعطفات هامة ومصيرية مرت بها الثورة، فكانت سيرتها ومسيرتها قصة كفاح ونجاح، وصارت رمزا لكفاح المرأة الفلسطينية.

عندما قدم أبو جهاد الى الجزائر كانت ام جهاد في غزة تنتظر ولادة بكرها جهاد، ولما سافرت الى الجزائر كان جهاد قد بلغ شهره الخامس.

كان الوضع المالي لمكتب فتح حرجا، وكان على ام جهاد أن تبحث عن عمل لكي تتمكن العائلة من العيش الكريم، فعملت معلمة وساهمت أيضا في خطة التعريب، كما واصلت نشاطها في صفوف الحركة من خلال العمل السياسي والتنظيمي والنسوي.

ثمة مهمة أخرى كان على أبو جهاد أن يضطلع بها بحكم قرب الجزائر من أوروبا، هي مهمة التواصل مع التجمعات الطلابية والعمالية الفلسطينية، وكانت ألمانيا التجمع الأكبر والأكثر حراكا وتنظيما، والذي تتواجد به قيادات عمالية وطلابية طليعية، ومن هذه القيادات: هايل عبد الحميد (أبو الهول)، وهاني الحسن، وعبدالله الإفرنجي، وعدنان سمارة، وأمين الهندي وآخرون.

وكان لخليل الوزير الدور الأساس للوصول الى تلك الساحة واستقطابها وتوسيع الحدود التي يسعى تنظيم فتح للوصول إليها، فكانت الساحة الألمانية نقطة ارتكازية للحركة في المهاجر انطلقت منها للامتداد الى عموم الدول الأوروبية.

كانت هناك خلايا تنظيمية في أوروبا نظمها أبو جهاد قبل أن يتسلم إدارة مكتب الجزائر، وكان من أبرز الناشطين فيها حمدان عاشور وعبد الله الإفرنجي، وتربط الإثنين بـ (أبو جهاد) علاقات تعود الى مرحلة اقامته في غزة.

بوجود أبو جهاد في الجزائر وقربها من الدول الأوروبية أصبح بالإمكان تنشيط الاتصال بهذه الخلايا وتلك التجمعات وتحويلها الى رافد جديد يصب في نهر الحركة ويعمق مجراها الكفاحي. كما سيتمكن من ضم قادة كبار الى القيادة التاريخية، ليلعبوا دورهم الطليعي في حياتها الداخلية، وفي سيرورتها التاريخية، وفي مقدمتهم: هايل عبد الحميد، وهاني الحسن.

مراجع

- تسجيلات للتاريخ الشفوي (صوت وصورة) أجراها السيد يحيى يخلف، محفوظة في أرشيف مركز صخر حبش للتوثيق والدراسات.
- وثيقة رقم D.R.0001 مع الرئيس أبومازن.
- وثيقة رقم D.R. 0006 مع السيد سليم الزعنون.
- وثيقة رقم D.R.00010 مع السيدة انتصار الوزير.
- وثيقة داخلية- كراس توزيع داخلي من هيئة التعبئة الفكرية في حركة فتح كتبه القائد خليل الوزير (أبو جهاد) صدر في كانون الثاني 1986.